آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة السابعة : العددان الخامس والعشرون والسادس والعشرون - ربيع الأول ١٤٢٠ هـ - تموز (يوليو) ١٩٩٩م

■ كتاب الحلم والعلم لآدم بن أبي إياس العسقلاني - ٢٢٠هـ

* KITAB AL HILM WAL 'ILM, by Adam bin Abi Iyas Al 'Askalani - 220 A.H. - copy from the 7th century after Hijra.

صناعة العطور في الحضارة الإسلامية

الدكتور/ علي جمعان الشكيل
أستاذ الكيمياء - كلية العلوم
جامعة صنعاء - اليمن

تفضل الخالق - سبحانه - بإضفاء ألوان جذابة ، وروائح عبقة في الأزهار والورود. سرعان ما اكتشف الإنسان البهجة والنشوة والفرح والسرور من مشاهدتها وتنسم عبيرها. استخلص الإنسان تلك الروائح وصنع العطور ، وعرف أسرارها وما تثيره في النفس من بهجةٍ وحيوية ونشاط ، ثم اكتشف عطورًا تصلح للنساء ، وأخرى تناسب الرجال. أدركت المرأة بذكائها الفطري أثر العطر في الرجل ، فصارت العطور من أهم وسائل زينتها على مرّ الأزمان والعصور. وافتتن الرجل بتلك العطور النسائية ، وتغنّى بها ، وجعل العطر من زينته أيضًا.

العطور عند الأمم القديمة

عنيت الأمم القديمة عنايةً فائقة بالعطور فصنعوها وحفظوها، وتغنوا بها في أشعارهم. فقد عني البابليون بالعطور وحفظها في أواني من الزجاج وأوعية (الألباستر)، وكانت بابل سوقًا من أسواق تجارة العطور(١).

واهتم المصريون القدماء بصناعة العطور والمراهم والكحل والأطلية للحواجب والأهداب والشفاه، ووضعوها في قوارير صغيرة من المينا الملونة، فشغفت بها النساء، واستعملنها، وأتقن استعمالها. وعرف الفراعنة أنواعًا كثيرة من النباتات العطرية، مثل خشب الصندل والكافور والكندر والعرعر وغيرها، واستخلصوا منها أنواعًا مختلفة من العطور، وحفظوها في أوعية نفيسة من (الألباستر) و(الديوريت) وغيرها من الأحجار النفيسة. وحفظت آثار المصريين القدماء كتابات تؤكد عنايتهم بالعطور(٢).

أما الإغريق والفرس فقد أغرموا بالعطور حتى إن المترفين منهم كانوا يستحمون بالماء المعطر، أو كانوا يعطرون كل جزءٍ من الجسم بعطرٍ خاص به.

واستعمل الهنود العطر في طقوسهم الدينية وحفلاتهم، واستخدموها في غسل معبوداتهم من الحيوان، وقد يوقدون نيرانهم المقدسة في حفلات الزواج والموت بزيوت وأعواد عطرة كخشب الصندل.

أما الصينيون فقد أكثروا التعطّر بالمسك الذي لديهم أفضل أنواعه، حيث تكثر عندهم غزلان المسك(٣).

العرب والعطر

أما العرب فقد ترك شعراؤهم الجاهليون من الشعر الكثير مما تغنّوا به من روائح النساء وعطرهن وزينتهن، وهو أكبر دليلٍ على معرفتهم بالعطر وكلفهم به. وكان عندهم من صناعات الأشراف، وتاجر به ملوكهم وأمراؤهم(٤).

يقول الأعشى في وصف امرأة:

إذا تقوم يضوع المسك أصورة
والزنبق الورد من أردانها شملُ
ما روضة من رياض الحزن معشبة
خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق
مؤزر بعميم النبت مكتهل
يومًا بأطيب منها نشر رائحةٍ
ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

يقول المرزوقي عن براعة العرب في صناعة الطيب، وبيعه، عند ذكره سوق عدن ما يأتي:

«وأشهر ما يباع فيها الطيب، ولم يكن أحدٌ يحسن صنع الطيب من غير العرب، حتى إن تجار البحر ترجع بالطيب المعمول (في عدن)، تفخر به في السند والهند، ويرحل به كذلك تجار البرّ إلى فارس والروم»(٥).

وما زالت مدينة عدن تشتهر بصناعة العطور حتى يومنا هذا، وهي صناعة منزلية تُمارس يوميًّا، وتعلمها الأمهات لبناتهن، ومنها أصنافٌ كثيرة، تشمل السوائل، والمراهم، ويسمونه الزَبَد، والمساحيق، ويسمونه البخور، ومن كل صنفٍ هناك أنواعٌ متعددة. وتعبق شوارع عدن بأجود أنواع العطور في الأمسيات خاصةً، وفي الأحياء القديمة بالذات.

تاجر العرب مع الفرس والروم والهنود في مجال العطور، وكانوا يسمون العير التي تحمل الطيب اللطيمة.

وكانت الأسواق تقام في جزيرة العرب فتأتيها البضائع من كلّ صوب، ويبيع الناس ويشترون فيها، وكان الطيب من البضائع التي تعرض في هذه الأسواق، ومن هذه الأسواق سوق (عدن)، كما ذكرنا، التي تقام أول يومٍ من شهر رمضان إلى عشرة يمضين منه(٦). وأشهر ما يباع فيها الطيب الذي برع العرب في صناعته(٧). وكذلك سوق (الشحر)، شحر مهرة، التي تقام للنصف من شعبان، ويعرض فيها الأدم والبز وسائر المرافق، ويشترون بها الكندر والمر والصبر، ويقصدها تجارٌ من البرّ والبحر(٨). الجدير بالذكر أن أجود أنواع العنبر هو العنبر الشحري. يقول الشاعر:

ولو كنت عطرًا
كنت من عنبر الشحر

أولع العرب بالطيب، فتزينوا به، وضمخوا به أجسادهم، واغتسلوا بماء الورد، وتعطروا في مجالسهم، واجتماعاتهم، وفي أفراحهم وأعراسهم. وحمل العطر دائمًا في حياتهم أعظم معاني التكريم.

كان لكل نوعٍ من الطيب عند العرب اسمه الخاص. فكانوا يسمون العطور الصلبة، كالعود والدخنة، الكباء، ويسمون العطر السائل الملاب، أما العطر المدقوق فيسمونه الألنجوج.

وكان استعمالهم للمواد العطرية لا يختلف كثيرًا عن الاستعمالات الحديثة. فكانوا يمسحون الرأس والوجه أو البدن بالعطور السائلة، فإذا كان فيها شيءٌ من كثافة كالزعفران فيلطخ بها الجسم أو الشعر، وتستعمل كما تستعمل الحناء. ويدهن بالدهون كالمسك والغالية والعنبر، وقد تغلغل بين طيّات الشعر. يقول جرير في قصيدته الشهيرة:

طار الفؤاد مع الخود التي طرقت

في النوم طيبة الأعطاف مبدانا

مثلوجة الريق بعد النوم واضعةً

عن ذي مثان[٩] تمج المسك والبانا

أما العطر المسحوق على شكل ذرات فيذر على الجسم، وقد يتناثر على الفراش إن كان كثيرًا، وإلى ذلك يشير امرؤ القيس في معلقته حيث يقول:

وتضحي فتيت المسك فوق فراشها

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

أما أعواد البخور فتحرق ويتبخر بها.

وقد تتخذ النساء من الحليّ أوعية للطيب، ونوافج للعطر، وعلى الرغم من أن هذا معروفٌ منذ زمنٍ متقدم إلاّ أنه شاع في العصر العباسي، وفشا حشو العطر في الخواتم وغيرها.

وقد بلغ علم العرب مبلغًا كبيرًا بمعرفة العطور وأنواعها، ومزجها، وتقويتها، وابتكار عطورٍ جديدة بمزج عطرٍ بآخر، أو بإضافة دهن الزنبق إلى العطر؛ كي تفوح رائحته، ويسمون ذلك الفتاق[١٠].

وكان خلط العطور وابتكارها فنًّا يعرفونه. ومن النساء من تبتكر خلطات للطيب معينة، تحرص على ألاّ تشيع أسرار صنعتها فتبتذل. فقد شمّ مالك بن سليمان بن خارجة ريح الغالية من أخته هند بنت أسماء، فقال: علميني كيف تصنعين بطيبك، فقالت: لا أفعل، تريد أن تعلمه جواريك، خذ لك مني كلما أردته، ثم بيّنت مواده التي تخلط في قولها: والله إني ما تعلمته إلا من شعرك حيث تقول[١١]:

أطيب الطيب عرفُ أمِّ أبانِ

فأرُ مِسكٍ بعنبرٍ مسحوقِ

الطيب في الإسلام

احتفى الإسلام أيّما احتفاء بالطيب والعطر، كيف لا وهو مما أعدّ الله للمؤمنين في الجنة، قال تعالى: ﴿فروحٌ وريحانٌ وجنةُ نعيم﴾[١٢]. وكان المصطفى ﷺ يحب الطيب، ويستخدمه، ويوصي باستخدامه، ومن قوله في ذلك: (حُبب إلي من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة)[١٣]. وكان عليه الصلاة والسلام يُحرم وهو متضمخ بالطيب. قالت عائشة رضي الله عنها: «كأني أنظر إلى وبيص الطيب في مفرق النبي ﷺ وهو محرم». وقالت: «كنت أطيّب رسول الله ﷺ بأطيب ما يجد حتى أجد وبيص الطيب في رأسه ولحيته»[١٤]. وكان ﷺ يقبل الهدية إذا كانت طيبًا، ولا يردها، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: «إن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب»[١٥]. وكان يوصي بعدم رد الريحان. قال عليه الصلاة والسلام: (إذا أعطي أحدكم الريحان فلا يرده)[١٦]. وقد حثّ الرسول ﷺ على الاغتسال والتطيب يوم الجمعة، فقال: (حقًّا على المسلمين أن يغتسلوا يوم الجمعة، وليمس أحدهم من طيب أهله، فإن لم يجد فالماء له طيب)[١٧].

وكان المصطفى ﷺ يحب أن يرى الطيب في أهله، ويحثهم على التطيّب. وأمر عند زواج فاطمة الزهراء – رضي الله عنها – أن يجعل الطيب في جهازها، وأن يكون ثلثي مهرها التطيبُ: (اجعلوا ثلثين في الطيب، وثلثًا في الثياب)[١٨].

وقد بيّن الرسول ﷺ أنواعًا من الطيب تحسن بالرجال، وأنواعًا أخرى تليق بالنساء، فقال: (طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه)[١٩].

أما الصحابة فقد كانوا على سنة محمد ﷺ في استعمال الطيب في أجسادهم وشعورهم ولحاهم، فكان ابن عباس يطلي جسده بالمسك، فإذا مرّ بالطريق قال الناس أمر ابن عباس أم مرّ المسك؟

ورثي ابن عباس حين أحرم والغالية على صلعته، كأنها الرب[٢٠]. وكان ابن مسعود إذا خرج إلى المسجد عرف جيرانه بطيب ريحه، أما ابن الزبير فقد قال أبو الضحى عنه: «رأيت على رأس ابن الزبير من المسك ما لو كان لي كان رأس مال»[٢١]. وكان ابن عمر يستجمر بعود غير مطري، ويجعل معه الكافور ويقول: «هكذا كان رسول الله يستجمر»[٢١].

ويصدق في المسلمين قول كعب بن زهير:

المطعمون إذا ما أزمة أزمت

والطيبون ثيابًا كلما عرقوا

وتطيب المسلمون وتعطروا اقتداءً بالرسول الكريم ﷺ ، وانتشرت صناعة العطور في العصر الإسلامي، بصورةٍ لم يسبق لها مثيل في تاريخ الشعوب الإسلامية قبل الإسلام.

تطور صناعة العطور

كانت العطور[٢٣] في سالف الأزمان عجينة صمغية تحتوي المادة العطرية ضمن مواد أخرى، كالزباد، الذي اشتهرت مدينة عدن، في جنوب اليمن، بصناعته، منذ أقدم العصور. وتقدمت صناعة العطور عندما استخلصت المواد العطرية بتنقيع بعض الزهور في الزيوت أو الدهون، فأصبحت هذه الزيوت أو الدهون حاملة للمادة العطرية. ويقال إن الكندي، وتبعه ابن سينا، أول من مارس استخلاص المواد العطرية بصورة متقنة من الزهور[٢٤] بطريقة التقطير البخاري، حيث صعدت المواد العطرية مع بخار الماء وتمّ فصلها.

يعتقد المؤرخون أن صناعة العطور من الصناعات الإسلامية الأصيلة، وأنها استحدثت في الحضارة الإسلامية. وقد انتشرت صناعة ماء الورد والعطور الأخرى وأدهان الطيب من النباتات والأزهار، من الزيوت الأساسية؛ لتصبح صناعة رائجة حقيقية، في جميع أنحاء العالم الإسلامي. ولم يسبق إلى هذه الصناعة بتقنياتها المتقدمة أحدٌ في الحضارات القديمة ولا المعاصرة[٢٥].

وازدهرت في إقليم سابور من أعمال فارس صناعة الروائح العطرية. وكانت الزيوت العطرية تتخذ في ذلك العصر من البنفسج والنيلوفر والنرجس والكارده والسوسن والزنبق والمرسين والمرزنجوش والبادرنك والنارنج[٢٦]. واشتهرت دمشق كمركز مرموق لصناعة العطور، وما زالت آثار تلك الصناعة قائمة في بلاد الشام. واشتهرت إسبانيا الإسلامية بأشهر العطور، وهي صناعة تزدهر دائمًا حيث توجد الأزهار والورود.

ذكر ملتهاوف[٢٧، ٢٨] في كتابه «مصادر الكيمياء» أن الكندي ذكر في رسالته عن استخلاص العطور من الأزهار استخدام أجهزة تقطير مريم (Distillation Apparatus of Maia) التي كانت تعدّ حديثة ومتطورة في أيام الكندي. وبما أن الكندي سبق ابن سينا ربما أن الأخير قد طوّر أجهزة الكندي، واستخدمها بصورةٍ أكثر إتقانًا ودقّة.

وقد حوى كتاب الكندي «كيمياء العطر والتصعيدات»، الذي نشره جيربر في لايبزج عام ١٩٤٨م، على ١٠٧ طريقة وخلطة لصناعة العطور في عصره[٢٩]. ولعلّ من أهمّ دلائل تطور هذه الصناعة عدد الكتب التي تركها المسلمون في هذا العلم، التي ذكر منها ابن الإشبيلي تسعة، ولكن أغلبها – مع الأسف – مفقود.

وحاول بعضهم أن يقوم بصناعة العطور الغالية في العراق، فاستحدثت الكوفة دهان الخيري، وكانت في الخيري والبنفسج تفوق سابور[٣٠].

وكان بمدينة جور التي تقع جنوب فارس صناعة للعطور تشبه الصناعة المتقدمة، ولكنها تنفصل عنها تمام الانفصال، فكان يحضر ماء الورد بمدينة جور، وذلك من أزهار غير الأزهار الأولى، مثل الورد

والطلع والقيسوم والزعفران والخلاف، وكان ينقل ماء الورد من جور إلى سائر البلدان، فيحمل إلى المغرب والأندلس ومصر واليمن وبلاد الهند والصين[٣١].

وكانوا يجلبون المسك والعود والكافور والدار صيني من الصين والهند.

وذكر الأستاذ عمر فروخ[٣٢] أن صناعة العطر في العصر الأموي كانت متطورة جدًّا ورائجة، في الحجاز خاصة. وكذلك كان في مكة عطارون وعطارات، وكان يصنع من العطر أنواعٌ كثيرة. وكان في مكة عطار يصنع لعمر بن أبي ربيعة عطرًا لا يصنع مثله لغيره، مما يدل على رقي فن الكيمياء الصناعية.

تطور تقنيات صناعة العطور

اكتشف المسلمون التقطير واستخدموه للحصول على الروائح الزكية والزيوت الأساسية والأدوية من الأزهار والورود والنباتات.

وصف الخوارزمي التقطير في كتابه «مفاتيح العلوم»[٣٣] فقال: «التقطير هو مثل صنعة ماء الورد، وهو أن يوضع الشيء في القرع، ويوقد تحته، فيصعد ماؤه إلى الإنبيق وينزل إلى القابلة ويجتمع فيها.

وطوّر المسلمون أجهزة التقطير تلبيةً لحاجة المجتمع المسلم المتزايدة للعطور.

فقد ذكر الكندي الذي عاش في القرن الثالث الهجري في كتاب «كيمياء العطور والتصعيدات» جهازين لصناعة ماء الورد، يتكون كل منهما من قرع وإنبيق وقابلة، يتم تسخين المادة في الأول، بالفحم أو الحطب، على نارٍ هادئة، بينما يتم التسخين في الآخر على حمامٍ مائي. وكأن الأخير منهما تطوير للأول حيث إن درجة الحرارة في الأخير لا تزيد عن درجة حرارة غليان الماء (١٠٠ درجة مئوية) بحالٍ من الأحوال، وهكذا لا تتعرض المواد المستخلصة لدرجة حرارةٍ عالية تؤدي إلى تكسرها وتطايرها (انظر الشكل ١ و ٢).

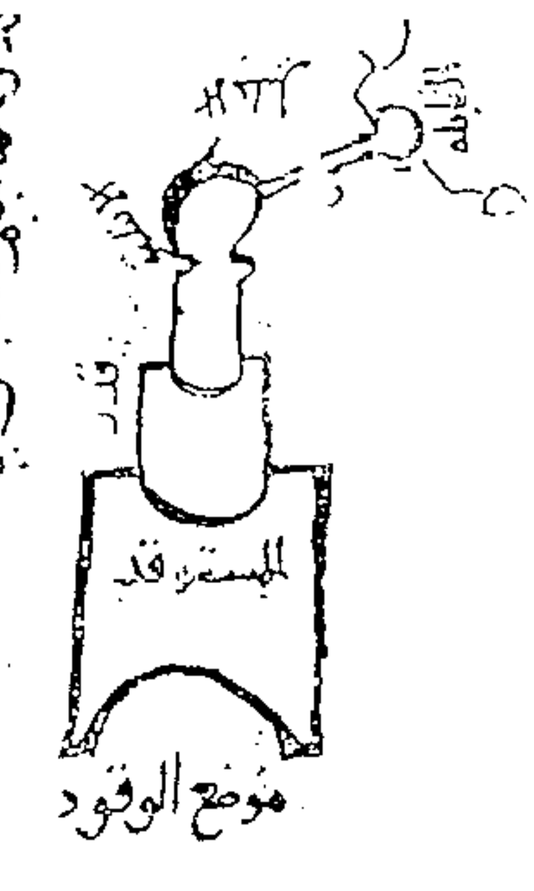

الشكل رقم (١) والشكل رقم (٢)

استخدمت في مرحلةٍ متأخرة من الحضارة الإسلامية معوجات طويلة الساق، كما يرى من الشكل ٣، المأخوذ من مخطوطة بالعربية والسريانية محفوظة في المتحف البريطاني، من القرن العاشر الهجري. لقد اكتشف صانعو العطر بخبرتهم أن الساق الجانبية الطويلة تعطي كمياتٍ أكبر من المستقطرات لتبريدها السريع للأبخرة المتصاعدة. لاحظ هنا التقدم في الصناعات الزجاجية، وكذلك دمج الإنبيق والقرع في قطعةٍ واحدة ربما كانت أسهل صنعًا، وأرخص تكلفة.

ولعل صانعو العطور قد عرفوا بالتجربة والخبرة أن تبريد الساق الجانبية يزيد من تكثيف الأبخرة،

ويسرّع من عملية التبخير، ويزيد الحواصل الناتجة، وربما كانوا يستخدمون للتبريد الخرق المبللة حول الإنبيق أو الساق الجانبية.

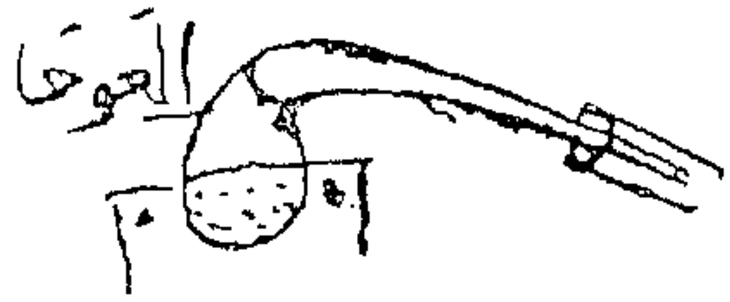

الشكل رقم (٣)

يبدو أن التطور الأخير لأجهزة التقطير هو التبريد بالماء (كما يظهر في الشكل ٤).

استخدم هذا الجهاز في الجزائر لتقطير الأعشاب والأزهار، لتحضير الأدوية، وشاهده بعض المسافرين الغربيين في بلاد الشام، في بداية القرن الثامن عشر الميلادي (الثاني عشر الهجري). توضع الأعشاب في الإناء (أ) مع الماء وتسخن. يتصاعد البخار إلى المكثف (ب) ويتم تبريده بالماء في الحوض جـ ينساب السائل المتكثف في الساق المائلة (د) إلى القابلة (هـ). عندما يسخن الماء في الحوض (ج) يسحب من خلال الأنبوب (و)، ويضاف الماء البارد بدلاً منه(٣٤).

يصور شمس الدين الدمشقي خطوة أخرى في تطور تقنيات صناعة العطور، وتطور عمليات التقطير في الصناعة الكيميائية الإسلامية في دمشق، في القرن الثامن الهجري، في كتابه «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر» مقابلة مع قرع الكندي المتواضع وإنبيقه، كما يرى في الشكل (٥)، حيث تظهر التجهيزات الصناعية، ويستخدم حمام بخاري، إذ تصطف القرعات بعضها فوق بعض في دوائر حول القدر الذي ينتج البخار، وقد يصل ارتفاعها إلى ثلاثة أمتار. تظهر أعناق القرعات وأفواهها خارج الفرن البخاري، حيث يركب على كلٍّ منها إنبيق، وعندئذٍ يتم تبريده بالهواء، وينتهي الإنبيق بقابلة، أو رضاعةٍ، تجمع فيها المستقطرات(٣٥). وقد ذكر ابن الإشبيلي تجهيزات صناعية كهذه في بلاد الأندلس من القرن السادس الهجري في كتاب الفلاحة(٣٦).

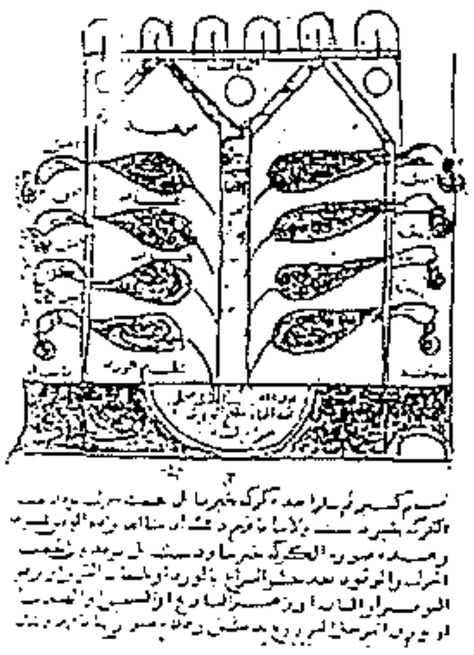

الشكل رقم (٥)

ويوضح الشكل (٦) طريقة لصناعة ماء الورد باستخدام فرن الهواء الحار بدلاً من البخار(٣٧).

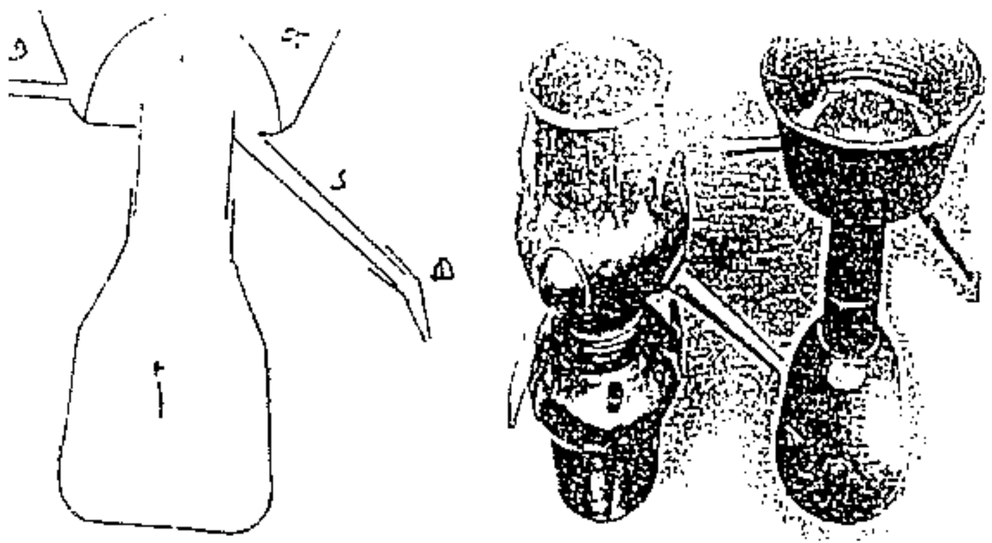

الشكل رقم (٤)

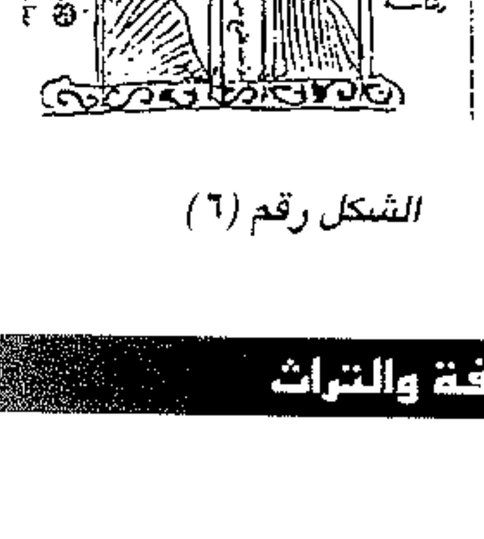

الشكل رقم (٦)

العطور الحديثة وعلاقتها بالعطور عند المسلمين

تعرضت صناعة العطور في النصف الثاني من القرن العشرين لتطوراتٍ جذرية كبيرة. وكان من أسباب تطورها:

١ – ازدياد عدد المواد الخام المتوافرة لصناعة العطور.

٢ – ازدياد المنتوجات التي تحتاج إلى العطور لتسويقها كالمنتوجات الصوفية والجلود ومستحضرات التجميل والبيوت والمحلات التجارية... إلخ.

٣ – تطور صناعة التعبئة واكتشاف البخاخات والمعاجين والكريمات وغيرها.

٤ – تعدّد قنوات التوزيع وطرقه بما في ذلك التسويق من منزلٍ إلى منزل.

٥ – دخول الرجال سوق العطر في الغرب.

ولعمري إن بعض هذه الأسباب كان موجودًا في الحضارة الإسلامية حيث أدّى الترف في طبقة الأمراء في الدولة الأموية، ثم في جمهور الأمة في الدولة العباسية، أثرًا مباشرًا في ازدياد الطلب على العطور، وكان إقبال الرجال على العطور، في العصور الإسلامية، لا يقل إن لم يزد، على إقبال النساء. وكانت هذه الأسباب من عوامل تطور صناعة العطور في الحضارة الإسلامية، وازدهارها، ونموها، وتطورها.

ولايزال تعريف العطر ثابتًا منذ زمنٍ بعيد وهو: خليطٌ من المواد الجميلة الرائحة في مذيب حامل. وكانت العطور في الحضارة الإسلامية تصنع من مواد طبيعية إلاّ أن تطور علم الكيمياء في العصر الحديث مكّن من اصطناع مركبات مستحضرة، ذات روائح عطرية، وأريج جميل، وأصبحت العطور تحضّر من خليطٍ من المواد الطبيعية والاصطناعية في أغلب الأحيان، فليست من مواد طبيعية نقية، ولا من مواد اصطناعية صرفة، وذلك لإضفاء سحر العطر الطبيعي على المنتوجات، وتقليل التكاليف، إذ إن الروائح الطبيعية أغلى ثمنًا، ولكن بها قليلٌ من الشوائب الطبيعية التي تعطي للعطور مذاقًا خاصًّا وعبيرًا محببًا.

يتكون العطر من ثلاث مكوناتٍ أساسية هي: المذيب الحامل، والمثبت، وعناصر الرائحة.

يستخدم الكحول الإيثيلي مخلوطًا مع قليلٍ أو كثيرٍ من الماء في العصر الحديث، كمذيب حامل للعطر ومثبتاته، حسب قابلية الزيوت العطرية المستخدمة للذوبان. هذا المذيب طيّارٌ بطبيعته، ويبرز الرائحة التي يحملها جيدًا، وهو أيضًا خاملٌ كيميائيًّا، فلا يتفاعل معها، كما أنه لا يهيج البشرة ولا يلهبها. تزال رائحة الكحول الطبيعية الزفرة بإضافة قليلٍ من البتروين (يستخلص من اللبان الجاوي وهو الكندر) أو بعض الصمغيات المثبتة، ويعتق لمدة أسبوع أو أسبوعين، فيفقد رائحته الزفرة التي تعادلها الصمغيات. وقد استخدم في الحضارة الإسلامية الكحول كمذيبٍ حامل للرائحة.

عندما تذاب مجموعة من الزيوت العطرية تتبخر الزيوت الأكثر تطايرًا أولاً، ثم التي تليها، وهكذا دواليك، ولذا تجد من المحلول العطري نفسه روائح مختلفة في أوقاتٍ مختلفة، بدلاً من رائحة عطرية ثابتة ومميزة. تضاف المثبتات لتجاوز هذه المعضلة. المثبتات مواد أقلّ تطايرًا من الزيوت العطرية، تمنع تبخر الزيوت العطرية وتعدله، وتجعل تطايرها بطيئًا ومتجانسًا وثابتًا. من المثبتات ما هو إفرازاتٍ حيوانية وصمغيات نباتية وزيوت أساسية ومواد كيماوية اصطناعية.

عرف المسلمون جميع المثبتات الحيوانية، وهي الزباد والمسك والعنبر، وذكروها بالتفصيل في كتبهم، وذكروا الفروق وأجودها، وكيفية استخلاصها واستخدامها في العطور.

استخرج المسلمون الزباد من قط الزباد، كما يستخرج حديثًا، وحصلوا على المسك من غدد ذكور ظباء المسك، وأحسنه التبتي من جبال الهمالايا. ويحتوي المسك على ٢/١ إلى ٢٪ من مادة تسمى المسكون، التي تعطي العطور ثباتًا عجيبًا ورائحة جميلة متجانسة. والمسك أهم مكونات العطور في الحضارة الإسلامية وأغلاها، ويستخدم هو نفسه كرائحة، وليس كمثبت فقط، في العطور الشرقية. أما العنبر فيستخرج حديثًا، كما كان قديمًا، من إفرازات بعض أنواع سمك الحوت. يبدأ العنبر في الانصهار عند حوالي ٦٠م، ويكون أبيض أو أصفر أو بنيًّا أو أسود أو متعدد الألوان كالرخام، ويحتوي على ١٢ – ١٥٪ من زيت العنبر الفعّال كمثبت ممتاز، وأجوده العنبر الشحري. وتستخدم بعض الصمغيات حديثًا كما كانت تستخدم قديمًا كمثبتات للعطور مثل المرّ واللادن والبلسم وغيرها كثير.

واستعمل المسلمون، كما استخدمت في العصر الحديث، بعض الزيوت الأساسية كمثبتات إضافة إلى كونها زيوتًا عطرية تتمتع بأريجٍ ممتع، كالناعمة وجذور نجيل الهند والسوسن والصندل وغيرها. وتتميّز هذه الزيوت العطرية خاصةً بدرجة غليانٍ عالية نسبيًا من ٢٥٨ – ٢٩٠م، واستخدم المسلمون، كما استخدم صانعو العطور المعاصرون، زيوتًا أساسية مصدرها النباتات أو مركزاتها، إلاّ أن العلم الحديث جعل استخدام زيوت اصطناعية أمرًا سهلاً ووارداً ورخيصًا.

الزيوت الأساسية

وعادةً ما تكون الزيوت الأساسية غير ذائبة في الماء، كونها من مركباتٍ عضوية، ولكنها تذوب في المذيبات العضوية، ولذا استخدمت بعض الزيوت كالشيرج (زيت السمسم) كحامل للرائحة. لكن بعض الزيوت العطرية تذوب في الماء لتعطي رائحة زكية مركزة للمحلول المائي، كما في صناعة ماء الورد، وماء زهرة البرتقال. تتطاير هذه المواد دون تغيّر في أغلب الأحيان بالتقطير البخاري: أي مع بخار الماء. والزيوت الأساسية في العادة خليطٌ من المركبات، وتوجد في براعم بعض الأشجار وأزهارها وأوراقها وسيقانها ولحائها وثمارها وحبوبها وخشبها وجذورها، وتوجد في العصارات في بعض الأحيان.

وتستخلص بعض الزيوت الأساسية من النبات بعدة طرقٍ منها:

١ – العصر، كما يفعل بزيوت الحمضيات كالليمون والبرتقال.

٢ – التقطير، وهو أكثرها استعمالاً حديثًا وفي الحضارة الإسلامية، وكثيرًا ما يتم بالتقطير البخاري، إلاّ في حالة المواد التي تتغير بالحرارة، أو التي لا تعطي زيوتًا بالتقطير، وعندئذٍ تستخدم الطرق الآتية:

١ – الاستخلاص بالمذيبات العضوية المتطايرة. وتعدّ هذه الطريقة حديثة ولكنها مكلفة.

٢ – الاستخلاص بزيوتٍ باردة، وتستخدم مع بعض الأزهار الحساسة للحرارة كالياسمين والبنفسج ومسك الروم.

٣ – الاستخلاص بالزيوت الساخنة.

وهكذا نرى أن المسلمين عرفوا جميع هذه الطرق، بل ربما هم الذين اكتشفوها وطوّروها، فيما عدا طريقة الاستخلاص بالمذيبات العضوية المتطايرة التي لم تستخدم بصورةٍ واسعة إلاّ حديثًا جدًّا.

وتشكل الزيوت الطبيعية، أو شبه الاصطناعية، التي تنتج في المصانع الحديثة، سواءٌ من النفط، كما هي الحال في الزيوت الاصطناعية، أو من الزيوت الطبيعية بعد قليلٍ من المعالجات الكيميائية، تشكل أكثر من ٥٠٪ من الزيوت المستخدمة في صناعة العطور الحديثة، وذلك لرخص ثمنها، وإمكان تصنيعها بكمياتٍ تجارية كبيرة.

Afāq al - Ṭaqāfa Wa al - Turāṭ
A Quarterly Journal of Cultural Heritage
Juma al - Majid Center for Culture and Heritage

أفاق الثقـــافة والتـــراث
مجلة فصلية ثقافية تراثية مكتبية
تصدر عن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

Subscription Order Form

قسيمة اشتراك

☐ One Year سنة

☐ More Than One Year أكثر من سنة

☐ # of Years عدد السنوات

للأعداد : Issues #

عدد النسخ : # of Copies :

ابتداء من تاريخ : Subscription Date :

☐ شيك Check

☐ حوالة مصرفية Bank Draft

☐ حوالة بريدية Postal Draft

التاريخ : Date :

التوقيع : Signature :

الاشتراك السنوي

داخل الإمارات
للمؤسسات : ١٠٠ درهماً.
للأفراد : ٦٠ درهماً.
للطلاب : ٤٠ درهماً.

في الخارج :
للمؤسسات : ٣٥ دولاراً أمريكياً
للأفراد : ٢٠ دولاراً أمريكياً

تودع الإشتراكات في رقم الحساب البنكي للمركز : ٠٤٩٠٩٠٦٥٢٣ بنك المشرق دبي
Payments should be made to Juma al - Majid Center for Culture and Heritage
Acc. # 0490906523 al - Mashriq Bank - Dubai

Afāq al - Ṭaqāfa Wa al - Turāṭ

أفاق الثقـــافة والتـــراث

إشعار بالتسلم
Acknowledgement of Receipt

الاسم الكامل : Name :

المؤسسة : Institution :

العنوان : Address :

صندوق البريد : P.O. Box :

العدد : ☐ Issues No. :

عدد النسخ : ☐ No. of Copies :

اهداء ☐ Gift

تبادل ☐ Exchange

اشتراك ☐ Subscription

التاريخ : Date :

التوقيع : Signature :

ترسل إلى :

مجلة آفاق الثقافة والتراث

ص.ب : ٥٥١٥٦ ـ فاكس : ٦٩٦٩٥٠ (٠٤) ـ دبي ـ الإمارات العربية المتحدة

Afāq al - Ṭaqāfa Wa al - Turāṭ

P.O. Box : 55156 - Fax : (04) 696950 DUBAI - U.A.E.

Stamp
الطابع
البريدي

Name : الاسم :

Address : العنوان :

Country : البلد :

Phone : هاتف P.O. Box : ص.ب :

Fax : فاكس :

التشابه موجود بين تقنيات صناعة العطور في العصر الحديث، واستخدام الزيوت الأساسية نفسها، والمثبتات نفسها، والمذيبات نفسها، وتجدر الإشارة إلى أن تلك الصناعات نمت وتطورت في ديار المسلمين، ثم انتقلت أسرارها إلى أوربا من معابرها المعروفة في التاريخ الإسلامي: صقلية الإسلامية، والأندلس الإسلامية، والحروب الصليبية(٣٨، ٣٩).

صناعة بعض العطور في الحضارة الإسلامية

عرف المسلمون أنواعًا من العطور في حضارة الإسلام الغرّاء، منها الغوالي، والندود، والمستقطرات، والنضوحات، والسك، والرامك، والأدهان.

الغوالي: عطورٌ جميلة الرائحة ثخينة، اشتهرت على يد أمراء بني أمية، وقيل إن أول من سماها غالية سليمان بن عبد الملك (أحد خلفاء الدولة الأموية)، وهناك من قال إنها عرفت في حياة الرسول [وأنه استعملها].

الندود : يحضر فيها الطيب على هيئة عمودٍ صغير طوله حوالي عشرين سنتيمترًا وعرضه ٣ – ٥ مليمتر، فتستخلص روائحها بإشعال طرفها، فينفث طيبه في أثناء الاحتراق. ويشبه البخور الند، ولكنه مسحوقٌ أو قطع صغيرة توضع على الجمر، فينتشر أريجها بالحرارة.

المستقطرات : أشهرها ماء الورد، عطورٌ يكون المذيب الحامل فيها هو الماء، ومنها أنواعٌ وأصناف كثيرة.

ومن أنواع العطر في المجتمعات الإسلامية الأولى النضوحات، وهي أشبه بعطورنا في العصر الحديث، ويكون المذيب الحامل فيها الكحول، وبها الروائح العطرية والمثبتات.

ويصنعون نوعًا من الطيب يسمونه **الرامك** يصنع منه طيبٌ آخر يسمى **السك**. ويصنعون الأدهان باستخراج طيوب الأزهار والورود بالزيت، وعندما يطبخونه بالسك وماء الورد يسمونه النش. وصنعوا أدهانًا مركبة باستخدام طيوب مختلفة.

١ - صناعة الغوالي

أثبت المسلمون خبرةً راقية في صناعة العطر، وفي تدابير الكيمياء الصناعية والتطبيقات العملية، مما لا نرى أحسن منه في العصر الحديث.

عندما تحدث الزهراوي(٤٠) عن صناعة الغوالي ذكر ثلاثة جوانب مهمة:

١ – الوقت الذي تعمل فيه.

٢ – الآلات التي تصلح لعملها.

٣ – كيفية عملها، وقد أورد ملاحظاتٍ غاية في الدقة والإتقان.

أما عن الوقت الذي يصلح أن تعمل فيه الغالية، فقد اقترح وجه السحر، قبل طلوع الشمس، لاعتدال الهواء فيه، وذكر أن من الأفضل أن يكون ذلك في الربيع، واشترط وقت سكون الريح. وليس أحسن من هذه الشروط للعمل الكيميائي على مواد متطايرة: سكون الريح، وانخفاض درجة الحرارة، واعتدالها، وغياب الشمس في وقت السحر.

ثم تحدث عن الآلات وأبدى خبرةً لا توصف، وفنًّا راقيًا، ومهارةً عالية:

«أفضل ما سحق المسك في هاون ذهب خالص، أو صلاية زجاج، بفهر زجاج، وأن يذاب العنبر في محارة من حجر، أو في مدهن من حجرٍ أسود، أو زجاج، أو في مدهن ذهب، أو فضة مموهة بالذهب، ويرفع في إناءٍ من ذهب أو زجاج».

لقد كانوا يعرفون جيدًا خمول الذهب والزجاج الكيميائي، وعدم إفسادهما للروائح العطرية.

أما عن كيفية عمل أجزائها فقال:

«فهو أن يؤخذ من المسك الجيد أوقية، فيسحقه برفق، لئلا يحترق من شدة السحق، ثم ينخله، بمنخل شعر صفيق، وإن أمكن نخله من غير سحقٍ فهو أجود، ثم يأخذ من العنبر الطيب نصف أوقية، فيذوبه في مدهن، على ألطف ما يكون من النار، فإذا كاد يذوب قطر عليه شيئًا من دهن البان المطيب، ثم ينزله بعد أن يذوب، ويختبره بأنامله، فإن كان فيه رملٌ أخرجه، ثم يلقيه على المسك في الصلاية، ويحذر أن يكون العنبر حارًّا، فإن حرارته تفسد المسك، ثم يسحق الجميع في الصلاية برفق، حتى يمتزج العنبر بالمسك، ويجردهما بصفيحة ذهبٍ لطيفة، ولا يجردهما بنحاسٍ أو بحديد، فإنهما يفسدانهما، ثم يرفع الغالية بالبانٍ على حسب ما يجب من رقتها أو ثخنها، وليس للبان حدّ يوقف عنده، وإن أراد أن يفعل المسك مثل العنبر أو دونه فعل».

يلاحظ هنا دقة العمل، ووضوح الملاحظات العملية، وشمول الاحتياطات الدقيقة:

١ – يسحق المسك برفق لئلا يحترق.

٢ – وإن نخل من غير سحق فهو أجود..

٣ – ويذوب العنبر في الدهن على ألطف ما يكون من النار..

٤ – يختبره بأنامله فإن كان فيه رملٌ أخرجه..

٥ – ويحذر أن يكون العنبر حارّا، فإن حرارته تفسد المسك..

٦ – يجردهما بصفيحة ذهب لطيفة، ولا يجردهما بنحاسٍ أو بحديد، فإنهما يفسدانهما.

إن هذه الملاحظات أشبه بتعليقات المحضرين المحدثين، واحتياطاتهم للمركبات الكيميائية، أما طريقة العمل فليست أقل دقة مما هي عليه في العصر الحديث.

عرف المسلمون أنواعًا من الغوالي لا حصر لها، واستخدموا فيها كل أنواع الطيب المعروفة كالسنبل، والصندل، والعود، والزعفران، والزنبق، وأنواع ماء الورد، وغيرها... ولولا الرغبة في الاختصار لأوردنا أنواعًا أخرى من الغوالي صنعت لملوك بني أمية وأمراء بني العباس وغيرهم.

٢ - صناعة الندود

الند أنواع كثيرة. أما الند الذي أجمع عليه الناس فهو أن يؤخذ من العود الجيد خمسون مثقالاً، ومثله من المسك التبتي، ويحل لذلك العنبر الهندي أو الشحري، مائة مثقال وثلاثة مثاقيل، ويعجن بالمسك، ويمد شوابير (قطعًا مستطيلة دقيقة، فتائل)، ويجفف، ويرفع[٤١].

وصنع المسلمون في مصر في القرن السادس الهجري[٤٢] ندودًا نادرة، تصلح للحمل والادخار والبخور، وتعمل منها أشكال ومقادير مختلفة من الكرات والوردات والشوابير، وغير ذلك، وتنظم قلائد (تلبس في العنق) ومعاضد (تلبس في العضد)، ووشاحات وسبحًا، وغير ذلك، ويجعلها الناس في ثيابهم إذا لبسوها، ويمشون بها، ويجلسون ويرقدون وهي عليهم، وهي لا تتغير ولا تتكسر. ويكسر بعض الكرات أو الوردات أو الخرز، فتستعمل في البخور وغيره، وتبقى بقيتها في جملة العنبر المنظوم، ولا يضرها الكسر، ولا يتفتت منها شيء البتة إلا إن قرض بالسن أو قطع بالشفرة، وإذا طال مكثه صلح وجاد وصلب، وعبق ريحه على النار، إلاّ أنه متى اختلط بالياسمين ضعف ريحه، وإذا تمادت عليه المدد وكثر استعماله وأفسده العرق الرديء كسر، وأضيف إليه شيءٌ من العنبر الخام الشحري وخلط به، ثم بالمسك المسحوق، وأعيد كما كان، أو على أي صفة أرادها صاحبه، فيجيء غايةً في الجودة، وربما كان أنفع وأجود من الأول.

ويصنع هذا النوع من الند المسمى المثلث كما يأتي[٤٣]، وهو أجود الندود وأعطرها، ويسمى

أحيانًا العنبر، ويميز عنه العنبر الأصلي بأن يقال العنبر الخام:

(أ) المواد والمقادير

جزء عنبر شحري جيد رزين دسم، يقطع صغيرًا بمقراض.

جزء عود هندي يبرى أجزاء صغيرة، ثم يقلى على نارٍ لينة ويطحن ناعمًا.

جزء مسك تبتي، ينقى ثم يسحق.

(ب) طريقة التحضير

يوضع العنبر الخام في قدر برام (فخار) لطيفة، شبه خوذة، على نار فحمٍ لينة، حتى يحمر، ويحرك بملعقة نحاس مدورة الرأس، ثقيلة، لها ساعد، فإذا ذاب العنبر يلقى عليه العود المطحون شيئًا بعد شيء، ويحركان حتى يختلطا ويصيرا جزءًا واحدًا، ويجعل العنبر والعود فتائل، ويقسم المسك على نسبة تلك الفتائل، وتعجن به عجنًا جيدًا، على حجرٍ يمني معدّ لذلك، حتى تختلط به، ثم يقطع ويجعل كرات بحسب ما يريد ويرفع.

وهذا النوع من الندّ على جودته ليّن لا يستعمل للباس، بل يحمل في الجيوب، ويبخر ويشم، ويوضع بين الثياب، ونحو ذلك.

وباختلاف المقادير يحصل على أنواع أخرى من الند.

٣ - صناعة الرامك والسك

الرامك هو أصل السك. ذكر النويري[٤٤] في «نهاية الأرب» طريقة لصناعة الرامك كالآتي:

«يصنع الرامك من العفص النقي والأبيض الجيد والمدقوق والمنخول والمعتق بعد طحنه سنة. ومن الناس من يطبخه بالماء حتى ينشف الماء بدلاً من تعتيقه، وتذهب بالطبخ والتعتيق حدة رائحته وطعمه، والتعتيق أجود. ويؤخذ لكل عشرة أرطال من العفص خمسة أرطال من الزبيب العينوني (نسبة إلى عينون بالقرب من القدس) اللحم النقي من عيدانه. ويؤخذ من البلح الحديث ما قد لقط من تحت نخله بعد نضجه، ويجفف جيدًا وينزع نواه، خمسة أرطال، فينقع الزبيب والبلح في الشراب الريحاني (خمر) يومًا وليلة، أو في الميسوس (شراب طبخ بالسوس مع ماء الورد) الطيب، أو الماء القراح، ثم يرفعان على النار، فيغليان غليًا جيدًا حتى ينضجا، ولا تبقى فيهما قوة، ويعتصر ماؤهما، فتعجن به عشرة الأرطال العفص المطحون المنخول عجنًا جيدًا حتى يصير مثل الحساء، أو أرقّ منه، ثم يرفع في طنجير (إناء) نحاس غليظ على نارٍ هينة، فيطبخ وهو يحرك بقضيبٍ من الحديد، ولا يفتر تحريكه. ويحترز المتولي لطبخه بأن يتلثم، ويلف على يديه ورجليه ما يصدنهما أن يقع عليهما من ذلك، حتى إذا غلظ وصار أشقر أنزله عن النار، ومن الناس من يضيف إليه وقت طبخه من عقيد العنب (ما انعقد من عصيره) على كل عشرة أرطال رطلاً واحدًا مع ماء الزبيب وماء البلح، ومنهم من يقتصر على مائهما فقط، فإذا انتهى أنزله عن النار، وصبه على بواري (حصير) قصب، بعد أن يبرد ويبسط عليها بسطًا رقيقًا مستويًا بشيءٍ قد دهن بدهنٍ خيري، ثم يعلق البواري بعد جفافه عليها في سقف بيت كنين من الغبار سنةً كاملة، بحيث يصل إليها مهب ريح الشمال. فهذا عمل الرامك الذين هم أصل السك».

أما صناعة السك فهي كما يأتي:

«يصنع السك بقلع الرامك عن البواري، ودقه وطحنه ناعمًا، وسقيه أمراق الأفاوية التي يطبخ بها البان. وإذا أردت ذلك تجمع أمراق الأفاوية، بعد تصفية البان عنها، وغسلها من دهنية البان، وسلقها وتصفيتها، فيعجن بها عجنًا جيدًا، كما عجن أولاً بماء الزبيب والبلح، وترفعه على النار مع التحريك الجيد بقضيب الحديد، وقد تحرزت مما يتطاير منه كما

تقدم، حتى إذا شرب تلك الأمراق وقوي بردته في سطول، وحببته على البواري كما سبق، وتعتقه أربعة أشهر حتى يجف، ثم تدقه وتطحنه وتنخله، وتأخذ لكل من (٢٨ رطلاً) منه من الهرنوه وزن ثلاثة دراهم، ومن الصندل المقاصيري نصف أوقية، ومن العود القماري نصف أوقية، ومن الزعفران المسحوق وزن درهمين، ومثقالاً واحدًا أو مثقالين - إن أحببت - من نافجة المسك الطرية الفتاق - وقد نتف ما عليها من الشعر وحلق، وقرضت تقريضًا صغيرًا، ودقت دقًّا ناعمًا - ومن الدهن الخيري الكوفي الخالص نصف أوقية، ومن العسل الأبيض الرقيق نصف أوقية، يعجن جميع ذلك بالسك عجنًا جيدًا، ويترك من ثلاثة إلى أربعة أشهر حتى يجف ويتكامل جفافه، ثم يدق ويطحن ويعجن بميسوس، ويطرح في كل منّ منه ثلاثة مثاقيل من المسك، ويعجن بها عجنًا جيدًا، ويقرص أقراصًا صغارًا، ويترك حتى يجف. وقيل إن هذا هو أذكى أبواب السك وأصلحه».

وهناك أنواع أخرى من السك منها المثلث والمنصف... وغير ذلك.

٤ - صناعة الأدهان

الأدهان أصناف كثيرة[٤٥] سنقتصر منها هنا على ما يدخل في أصناف الطيب والغوالي، مثل دهن البان ودهن الزنبق ودهن الحماحم، ولو أن هناك أدهانًا أخرى معروفة مثل دهن الخيري ودهن التفاح والأدهان المركبة العطرة.

(أ) دهن البان

يؤخذ حب البان ويسحق في أرحية (جمع رحاء) معدّة لذلك، ثم يجعل في قدر نحاسٍ كبيرة، ويكون الحب قدر ما يملأ ثلثي القدر، ويصب عليه من الماء ما يغمره وزيادة، ويوقد تحته بالحطب الجزل حتى يغلي، فيطبخ نصف اليوم، وكلما نقص الماء يزاد، حتى منتصف النهار يقطع عنه الوقود، ويترك حتى يبرد، ثم يلقط ما طلع فوقه من الدهن، ويجمع في آنية.

يؤخذ الدهن المستخرج من حب البان، فيجعل في قدر فخارٍ كبيرة، ويطبخ بمثله من الماء الصافي أيامًا، كلما نشف الماء نقل إلى قدرٍ أخرى، ويصب عليه من الماء الصافي نظير الدهن، يفعل به ذلك ثلاث مرات، ثم يطبخ بالماء الصافي والورد الذي لم يتفتح ثلاثة أيام، ثم يطبخ بالماء والصندل الأصفر المقاصيري المخروط أيامًا ثلاثة حتى تذهب عنه رائحة الدهن، ثم يطبخ بالعود الهندي السن والماء الصافي يومين أو ثلاثة أيام، ثم يطبخ بسك المسك المنصف المسحوق بماء الورد يومًا، وهذا الطبخ الذي بالسك وماء الورد يسمى النش، ويسمى بأنه البان المنشوش، ثم ينزل ويصفى، ثم ينشّ بعد طبخه بالسك وماء الورد بالمسك التبتي المسحوق المحلول بماء الورد الجوري نشًّا جيدًا، حتى ينشف عنه ماء الورد، ويأخذ البان قوة المسك.

(ب) دهن الزنبق

تأخذ من الشيرج الرائق منًّا، فتصبه في قدر برام، ثم تأخذ من ورد النسرين أوقية، ومن بزر الشاهسفرم (الحبق الكرماني) غير المفروك وورقه من كل واحدٍ منها أوقية، ومن بزر النسرين نصف أوقية، ومن زهر الياسمين الأبيض الطري الغض، لقاط يومه، نصف رطل، أو من بزر الورد الأحمر الطري نصف أوقية، ومن قضبان قلوب شجر البلسان الطرية خمسة قضبان أو ستة، أو من لحائه الجاف أوقية ونصف أوقية، ومن الصندل الأصفر نصف أوقية. اقسم هذه الأصناف وانقعها في ماء ورد ونضوح وماء ريحان مصعد من كل واحدٍ نصف رطل، واتركها يومًا وليلة منقوعة، ثم ألقِ ذلك على الدهن مع الياسمين الطري الأبيض، ثم ارفعه على نارٍ لينة، وحركه بشقة قنا حتى تنشف المياه التي نقعت فيها الأصناف، فأنزل القدر على النار، واحكم تغطيته لوقته، واتركه إلى الغد، ثم صف

الدهن عن الثفل. فإذا برد فألقِ على كل من هذا الدهن رطلاً من الزنبق المصري الجيد، ثم بعه على أنه زنبق خالص.

(جـ) دهن الحماحم

تؤخذ قدر فخار صغيرة جديدة مغسولة جيدًا، ويطرح فيها رطل ماءٍ وردٍ جوري، وكمية من رؤوس الحماحم السود، أول ما تظهر، قبل أن تبرز، ومن ورقه الصغير الأخضر الذي يجنى منه، ويطرح عشرين حبة من حب القرنفل الزهر، ويصب على ذلك من دهن الخيري الكوفي الفائق والزنبق السابوري، لكل عشرة رؤوس من الحماحم الضخمة رطل من الخيري والزنبق، ثم اغله بنار فحمٍ لينة حتى ينضج الحماحم، ثم خذ مثقال عود هندي مسحوق، ومثله من السك المرتفع، ونصف مثقالٍ من الكافور، ووزن دانق من المسك، يعجن ذلك بزنبق، ويعجن بعد كل ثلاث مرات، ثم يصفى الدهن من فوق الحماحم، وتعصر حتى لا يبقى فيها شيء من الدهن، ثم صب الدهن على الأفاوية المبخرة، ويحرك في باطية، ويترك أربعة أيام حتى يصفو، ثم تبخر قارورة نظيفة بسك وكافور وعود، ثم صبَّ فيها الدهن، وحلّ فيه من المسك ثلث مثقال أو أكثر، فإذا أردت استعمال شيءٍ من الدهن فحرّك القارورة، ومن أحب أن يزيده دهناً مبخرًا ويفتقه بدهنٍ مبخر فعل.

المياه المستقطرة

استقطر كثير من المياه الزكية في الحضارة الإسلامية، وهي المعروفة بماء الورد، ونذكر منها على سبيل المثال ماء الجورين، وهو مصنوعٌ من الورد الجوري:

المواد :

خمسة أرطال ورد جوري

أوقية عود هندي مجروش

توضع في زجاجة، يغطى فم الزجاجة ويلف بملحفة نظيفة، ويترك خمسة أيام، ثم تصفيه بعد ذلك في قرعة التقطير، ويقطر الماء برفقٍ وحكمة، ويرفع في قارورة، ثم يؤخذ رطلان من الماء، ويطرح فيها من الزعفران الشعر خمسة دراهم، وجوز بوا درهمان، ويجمع الجميع في قرعة التقطير، وتترك القرعة مسدودة الفم يوماً وليلة، ثم تجعل في فرن التقطير، ويوقد تحتها وقودًا معتدلاً، بنار حطبٍ لا دخان لها، فإذا رأيت الماء قد بدأ يقطر فاقطع النار ساعة، وتكون قد أعددت قيراط مسك وقيراط عنبر، وحبتين من الكافور، كل ذلك مسحوقًا، وألقه في القرعة، ثم سدّ رأسها، وأعدها إلى النار، فإذا كاد الماء يقطر فأغلق باب الفرن، فإن الماء يقطر أبيض، فإذا تغير إلى الصفرة فارفع الأول في قارورة، وسدّ رأسها بشمع، واجمع الماء الأصفر في قارورة ثانية، فإذا تغير إلى الحمرة فارفع القارورة الثانية، واجعل قارورة ثالثة، فإنه يقطر أحمر، فإذا فتر التقطير فارفع الماء الثالث، واجعل كل ماءٍ على حدة، فهذا ماء الجورين.

ولصناعة ماء الصندل يؤخذ من الصندل المقاصيري الأصفر أوقيتان، تنقعان في رطلٍ ونصف من الماء المشروب يومًا وليلة، ثم يصعد مثل ماء الجورين. وكذلك تصعيد العود، ويكونان قد طحنا قبل نقعهما.

وكذلك يصعد ماء القرنفل وماء السنبل وماء الكافور وماء المسك وماء الورد وماء الزعفران بطرقٍ مشابهة.

عطر مذاب في الكحول

ذكر شهاب الدين النويري[٤٦] في كتابه الشهير «نهاية الارب في فنون الأدب» صفة صنعة ميسوس نادر، أخذ عن بختيشوع الطبيب، من كتاب العطر، المؤلف للخليفة المعتصم بالله. ويمتاز هذا العطر باستخدام الكحول الإيثيلي (الخمر) مذيبًا حاملاً للروائح العطرية والمثبتات، وهو المذيب نفسه المستخدم في العصر الحديث. وقد استخدم فيه المواد العطرية الآتية:

٦ أواقي القسط المرّ

٦ أواقي قصب الدريرة

٦ أواقي الساذج الهندي

٦ أواقي القرنفل الزهر
٦ أواقي قشور عيدان السليخة الحمراء
٦ أواقي البسباسة الذكية
٦ أواقي الأشنة الهندية
٦ أواقي الأشنة اليمانية بعيدانها
٢ أواقي السنبل العصافير
٦ أواقي الميعة السائلة حمراء أو بيضاء
٦ أواقي دهن البلسان
٥ أواقي الزعفران القمي المسحوق
٥ أواقي المسك
٦ أواقي عسل نحل

تدق الأصناف اليابسة، ويسحق المسك والزعفران سحقًا ناعمًا، ويدافان بالطلاء (الخمر) الريحاني الذكي، وتحل الميعة بدهن البلسان. يضرب عسل النحل بالأصناف ضربًا جيدًا وهو حار، ويداف ذلك بالطلاء، وتعجن به الأفواه عجنًا جيدًا، ثم يؤخذ من ورد السوسن الأبيض الطري ثمانمائة وردة عددًا، فتقطع أصول ورقها بالأظافر، ويمسح من الصفرة التي تكون في داخله بخرقة كتان ناعمة جديدة، ثم تغرس الورق في إناء، طبقة من الورق وطبقة من الأدوية، حتى تأتي على السوسن والأدوية، ثم تصب على ذلك الطلاء الذكي خمسة وعشرين رطلاً بالبغدادي، وتغطي الإناء بغطاءٍ ينطبق عليه، وتستوثق منه، ويطين بطينٍ حرّ مخلوط بشعر العنز المدقوق المنخول، ويرفع في بيت كنين، في ظلّ مما يواجه ريح الشمال، ويترك ستة أشهر، ثم يفتح ويصفى في القوارير.

عطر بمشتقات نفطية

وصف الأنطاكي[٤٧] تحت عنوان «غالية ساطعة الريح» نوعًا من العطر يدخل في تركيبه بعض المشتقات النفطية، وهي مذيب عضوي جيد لحمل العطر والمثبتات ومتطاير أيضًا، فقال:

«خذ قطران مصعد خمسة مثاقيل، بسباسة، حسك، من كل ثلاثة، مسك واحد ونصف، عود درهم، سندروس نصف مثقال، عنبر أربع [كذا] دوانق، يخلط الكل بدهن البان والزنبق، وقد يضاف قرنفل وفلنجة من كلّ اثنان، وقد يدبر القطران بالكندس، وقد يزاد صندل، زعفران، ساذروان، سنبل حسب ما يحتاج إليه».

الجدير بالذكر أن المستقطرات النفطية كالكيروسين تستخدم في صناعة الروائح العطرية في العصر الحديث، مع بعض الغازات النفطية، كمذيب حامل للروائح العطرية، في صناعة البخاخات خاصة التي تستخدم لتعطير الغرف في المنازل والمتاجر. ●

أنواع من الأزهار ذات الروائح العطرية

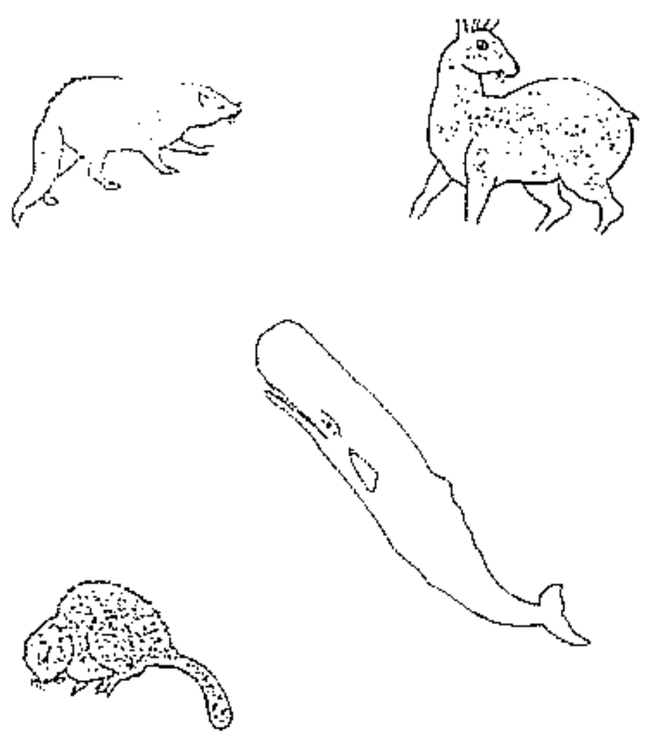

أنواع الحيوانات المنتجة للمثبتات العطرية

الحواشي

١ - سحر العطور: ١٥.

٢ - المرجع السابق: ٩ - ١٥.

٣ - المرجع السابق نفسه: ١٣.

٤ - الزينة في العصر الجاهلي: ٢٠١ - ٢٦٧.

٥ - الأزمنة والأمكنة: ١٦٥/٢. تاريخ اليعقوبي: ٢٣٦/١. جواد علي: ٣٧٥/٧.

٦ - المحبر: ٢٦٦. الزينة في العصر الجاهلي: ٢٠٥.

٧ - الأزمنة والأمكنة: ١٦٥/٢. الزينة في العصر الجاهلي: ٢٠٥.

٨ - الأزمنة والأمكنة: ١٦٣/٢، الزينة في العصر الجاهلي: ٢٠٥.

٩ - عن ذي مثان: أي عن رأس ذي ذوائب، مثنية بعضها على بعض.

١٠ - الزينة في العصر الجاهلي: ٢٠٥ - ٢١٥.

١١ - المستطرف: ٣١/٢.

١٢ - الواقعة: ٨٨.

١٣ - رواه النسائي وأحمد في المسند وسنده حسن، وصححه الحاكم من طريق أخرى ووافقه الذهبي.

١٤ - عمدة القاري: ٦١/٢٢. الزينة في العصر الجاهلي: ٢٠٨.

١٥ - تحفة الأحوذي: ٧٣/٤، الزينة في العصر الجاهلي: ٢٠٩.

١٦ - تحفة الأحوذي: ٧٥/٤، الزينة في العصر الجاهلي: ٢٠٩.

١٧ - المرجع السابق: ٦٨/٣. الزينة في العصر الجاهلي: ٢٠٩.

١٨ - طبقات ابن سعد: ١٣/٨، الزينة في العصر الجاهلي: ٢٠٩.

١٩ - تحفة الأحوذي: ٧١/٨، الزينة في العصر الجاهلي: ٢٠٩.

٢٠ - عيون الأخبار: ٣٠٣/١، الزينة في العصر الجاهلي: ٢١٠.

٢١ - ينظر الحاشية ٢٠.

٢٢ - عيون الأخبار: ٣٠٤/١، الزينة في العصر الجاهلي: ٢١٠.

٢٣ - عيون الأخبار: ٣٠٤/١، الزينة في العصر الجاهلي: ٢١٠.

٢٤ - شريف للصناعات الكيميائية: ٤٨٤.

٢٥ - الكيمياء في الحضارة الإسلامية: ١٤٢.

٢٦ - المقدسي: ٤٤٣. الحضارة الإسلامية: ٣٦٢.

٢٧ - مصادر الكيمياء (بالإنجليزية): ١٢٠.

٢٨ - انظر الكندي في فصل رواد الكيمياء في الحضارة الإسلامية من كتاب الكيمياء في الحضارة الإسلامية.

٢٩ - كيمياء العطر والتصعيدات، ١٩٤٨م.

٣٠ - الاصطخري: ١٥٣، وابن حوقل: ٢١٣، الحضارة الإسلامية: ٣٦٢.

٣١ - ابن حوقل: ٢١٣، الحضارة الإسلامية: ٣٦٢.

٣٢ - العرب في حضارتهم وثقافتهم: ١٩٤.

٣٣ - مفاتيح العلوم: ١٤٩.

٣٤ - التكنولوجيا الإسلامية: ١٤٠.

٣٥ - المرجع السابق: ١٤٢.

٣٦ - كتاب الفلاحة.

٣٧ - التكنولوجيا الإسلامية: ١٤٤.

٣٨ - الصناعات الكيميائية: ٥٦ - ٦٩.

٣٩ - شريف للصناعات الكيميائية: ٤٨٤ - ٥٠١.

٤٠ - نهاية الأرب: ١٢/ ٥٢ - ٥٣.

٤١ - نهاية الأرب: ٦١/١٢.

٤٢ - نهاية الأرب: ١٢/ ٦٥ - ٦٦.

٤٣ - المصدر السابق: ١٢/ ٦٦ - ٦٧.

٤٤ - نهاية الأرب: ١٢/ ٧٠ - ٧٣.

٤٥ - نهاية الأرب: ١٢/ ٨٠ - ١١٣.

٤٦ - نهاية الأرب: ١٢/ ١٣١ - ١٣٢.

٤٧ - التذكرة: ٢٤٤/١.

المصادر والمراجع

الجبوري : يحيى

- الزينة في العصر الجاهلي، حوليات كلية الإنسانيات، العدد ٦، جامعة قطر، ١٩٨٣م.

الشحات : أحمد

- سحر العطور، مجلة البيان العربي، القاهرة.

الشكيل : علي

- الصناعات الكيميائية، سلسلة تيسير العلوم والتكنولوجيا، صنعاء، ١٩٩٥م.

فروخ : عمر

- العرب في حضارتهم وثقافتهم، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢م.